سقى الله ارضا لو ظفرت بتربها :. كحلت به من شدة الشوق اجفاني
ثم قال عماد الدين المذكور بعد هذا كان هذا الشاعر حيا في شهر رمضان سنة ثمان
وستين وخمسماية ابو طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الحميري الصنهاجي صاحب
افريقية وما والاها وقد تقدم ذكر والده ورفعت نسبه هناك وبعده ذكر جماعة من
اجداده في هذا الكتاب وكانت ولاية يحيى بالمهدية خلافة عن ابيه تميم يوم الجمعة لاربع
بقين من شهر ذي الحجة سنة سبع وتسعين واربعماية والطالع الدرجة السابعة من الجدي
ثم استقل بالامر يوم وفاة والده وقد سبق ذكره في ترجمته وكان عمر الامير يحيى يوم
الاستقلال ثلثا واربعين سنة وستة اشهر وعشرين يوما وركب على العادة واهل
دولته محدقون به ورجع الى قصره وغير لباس اهل جميع الدولة من الخواص والجند
بخلع سنية وكانوا قد غيروا لباسهم لموت ابيه ووهب للاجناد والعبيد اموالا كثيرة
ووعدهم مواعيد سارة ورايت في كتاب الجمع والبيان في اخبار القيروان الذي الفه
ولعاصره عز الدين ابو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس ان الامير
تميما قبل وفاته بمدة يسيرة دعى ولده يحيى المذكور وكان في دار الامارة مع خاصته
وجلسائه فمضى يحيى ومن معه اليه فوجدوا تميما في بيت المال فامرهم بالجلوس ثم
قال لاحدهم قم فادخل ذلك البيت وخذ منه الكتاب الذي صفته كذا في مكان كذا فقام
واتى به واذا هو كتاب ملحمة فقال له عد من اوله كذا وكذا ورقة واقرا الصفحة التي
انتهى اليها واذا فيها الملك المعز وهو طويل القامة الذي على وركه الايمن خال وفي
جنبه الايسر شامة فقال الامير تميم اطبق الكتاب واردده الى موضعه فقفل ثم قال
تميم اما العلامتان ففي ثابتتان وبقيت علي الثالثة ثم انت يا شريف وانت يا فلان
حتى تحققا عندي العلامة الثالثة فقاموا وقام يحيى معهم الى موضع مستور عن
تميم وكشف لهم عن جسمه فراوا شامة على جنبه الايسر هلالية الشكل فاتوا تميما فعرفوه
فقال لم اعطه انا شيئا الله تعالى الذي اعطاه ثم قال الا اخبركم بحديث عجيب وذلك
انه عرض على النخاس والدته فاستحسنتها ومالت نفسي اليها فاشتريتها وسلمتها
الى خدام القصر وامرت النخاس ان يرجع الى قبض الثمن ثم دبرت في مال طيب حلال اخرج
ثمنها منه فبينما انا مفكر في ذلك اذ سمعت الساكني يصيح ويرفع صوته في الاذن على خطا
لعني فاخرجت راسي من الطاق وقلت ما شانك فقال كنت الساعة احفر في خم المهدي
حتى وجدت صندوقا عليه قفل فتركته على حاله وجئت مطالعا بامره فانفذت معه من
اتى به فاذا فيه الثياب مذهبات الاعلام قد افناها الدهر فامرت بسبك اعلامها فلم
تزد ولم تنقص عن ثمن الجارية فتعجب الحاضرون من ذلك ودعوا له ثم امر لهم بدنانير
وكسا فانصرفوا قال عبد العزيز المذكور وقد ادركت هذا الكتاب المشار اليه عند السلطان
الحسن رحمه الله تعالى يعني الحسن بن علي بن يحيى المذكور وحكى عن الكتاب امورا وقضايا
ذكروا انها ستكون وكانت كما ذكر رجعت الى الحديث نصيح الماجلس في الملك قام بالامر وغزا
في الوعية وفتح قلاعا لم يتمكن ابوه من فتحها قال عبد العزيز المذكور في تاريخه وفي ايامه

يعني

يعني اباه يحيى وصل الى المهدية من طرابلس محمد بن تومرت المهدي وذكره قادما من الحج فنزل
بمسجد قبلي مسجد السبت واجتمع اليه جماعة من اهل المهدية وقرؤا عليه كتبا في اصول
الدين وشرع في تغيير المنكر فرفع امره الى يحيى فاحضره وجماعة من الفقهاء فراى
ما هو عليه من الخشوع والتقشف والعلم فساله الدعا فقال له اصلحك الله لرعيتك ونفع
بك رعيتك واقام مدة يسيرة بالمهدية ثم انتقل الى المنستير فاقام بها مدة وانتقل الى بجاية
وقد تقدم في ترجمة والد الامير تميم ان محمد بن تومرت المذكور اجتاز بتلك البلاد في
البلاد في ايامه والله اعلم اي ذلك كان ثم قال عبد العزيز وفي سنة سبع وخمسماية
اتى الى المهدية قوم غربا قصدوا يحيى بمطالعة زعموا فيها انهم من اهل الصناعة الكبرى
من الواصلين الى نهايتها فاذن لهم في الدخول عليه فلما مثلوا بين يديه طالبهم بان
يظهروا له من الصناعة ما يقف عليه فقالوا نخير بك من الفضل بالترصين والتمويه
حتى يرجع لا فرق بينه وبين الفضة وعملوا الامر من السروج والقضب والنقود والعباب
ولاواني قناطير من الفضة يجعل عوضا منها ما يريد ويستعمل جميع ذلك في مهماته وسالوه
ان يكون ذلك في خلوة فاجابهم واحضرهم للعمل ولم يكن عند الامير يحيى سوى الشريف
ابي الحسن علي والقايد ابراهيم قايد الاعنه وكانوا هم ثلثة وكانت بينهم امارة
فامكنتهم الفرصة فقال احدهم دارت البوتقة فتواثبوا وقصد كل واحد منهم واحدا
من ساكنيهم فاما الذي قصد الامير يحيى فقال انا سراج وكان يحيى جالسا على مصطبة
فضربه بحاجة على راسه فقطعت طاقات من العمامة ولم تؤثر في راسه واسترخت به
السكين على راسه فجرحته وضربه يحيى واغلق رجله فالقاه على ظهره فسمع الخدم
الجلبة ففتحوا باب القصر من عندهم ودخل يحيى واغلق الباب دونهم واما الشريف فلم
يزل به الذي قصده حتى قتله واما القايد ابراهيم فانه شهر سيفه ولم يزل يقاتل الثلثة
وكسر الجند الباب الذي كان بينهم ودخلوا فقتلوهم وكان زيهم زي اهل الاندلس
فقتل في البلد جماعة ممن يلبس ذلك الزي وخرج الامير يحيى في الحال ومشى في البلد وسكن
الفتنة وكان يحيى عادلا في دولته ضابطا لامور دولته عارفا بخرجه ودخله مدبرا في
جميع ذلك على ما يوجبه النظر العقلي ويقتضيه الراي الحكمي ونعته في الملاحم الملك
المعدود ويحقق له هذا النعت بهذه التي ذكرناها وكان كثير المطالعة لكتب الاخبار
والسير عارفا بها رحيما للضعفاء شفيقا على الفقراء يطعمهم في الشدايد ويقرب بهم اهل
العلم والفضل من نفسه وساس العرب في بلاده فهابوه وانكفت اطماعهم وكان له
نظر حسن في صناعة النجوم والاحكام وكان حسن الوجه على حاجبه شامة اشهل العينين
مايلا في قده الى الطول دقيق الساقين وكان عنده جماعة من الشعراء قصدوه ومدحوه
وخلدوا مدايحه في دواوينهم ومن جملة شعرائه ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابي
الصلت الشاعر المغربي وذكره واقام تحت كنفه بعد ان جاب الارض وتقاذفت به البلدان
وله صنف الرسالة المشهورة التي وصف فيها مصر وعجايبها وشعراها وغير ذلك
وله فيه مدايح كثيرة اجاد فيها واحسن وله ايضا مدايح في ولده ابي الحسن علي وولده

Copyright © King Saud University